

يعيشون بيننا - جابر محمد الحجي

جابر محمد الحجي

مواليد الأحساء

١٣٨٤/٧/١هـ

مدينة العمران- العليا

ما إن تجلس مع هذا الرجل الأستاذ جابر إلا وتشتبك الأسئلة في مخيلتك عن ماهي المعرفة، وما هو الهرمون المحفز لنموها؛ متى يصبح الإنسان مثقفاً؟ ومن هو المثقف؟ هل هو المنتمي إلى العامة أم المنتمي إلى الخاصة، أي الصفوة من الناس كما يتساءل: المفكر الإيطالي (أ. نطونيو غرامشي). أم هو كما يقول (سارتر) في كتابه "الدفاع عن المثقفين" إن ما يجعل من شخص ما مثقفاً هو تجاوز الحقل الضيق لاختصاصه، بمعنى آخر: هو الشخص الذي يتدخل فيما لايعنيه، ويمتلك القدرة على الجهر بالحقيقة.

مقدمة وجدتها مهمة في صدر التعريف بالأستاذ الشاعر جابر العايش لأقول: إن مصدر نزوح شخصيته وعمقه المعرفي ربما لم يستند على ما ذكره هؤلاء المفكرون من آراء جامدة للتعريف بالمثقف كما أراه، وأعرفه، عنه، عن ظهر قُرب، بل هي مقدرته، على استلام المعلومة وتحويلها إلى أسئلة مفتوحة تسندها قراءاته المتنوعة في الكثير من التخصصات جعلت منه مثقفاً عميقاً مهذباً وقارئاً نخبوياً وهو ما انعكس على بعض كتابته.

"أَنْزَلْنَا عَلَى الْخَوْفِ الْقَدِيمِ يَسُوقُنَا

فَكَرُّهُ هَزِيلٌ حَاقِدٌ نَحْوَ الْوَرَاءِ

فِيكَرُّهُ الْحَمَقِيُّ الْمَهَازِلُ وَالَّذِينَ

يُنْظَرُونَ لَهُمْ هَرَاءٌ فِي هَرَاءِ

لَنْ يَنْصَفَ التَّأْرِيخُ مَنْ مَرَّوَا بِهِ

مِثْلَ الْبَهَائِمِ كَالْغَنَاءِ

لَكِنَّهُ يَسْمُو بِمَنْ صَنَعُوا الْحَقِيقَةَ

وَالْحَقِيقَةُ خَطْوَةٌ نَحْوَ الْإِمَامِ

وَرَكْلَةٌ نَحْوَ الْوَرَاءِ"

عرفت شاعرنا الأستاذ جابر يمارس هوايته في التنقيب عن المعرفة منذ شمعة صباه، وعنfan شبابه، ورزانه كهولته، لا يضيّع دقائق بين عقارب ساعات مشاغله والتزاماته إلا واشبعها بالقراءة في كتب المعرفة العامة؛ لديه شغف بعلم القرآن وقراءة التاريخ، والمنطق، والفلسفة، مولع بالأدب مُحِبٌّ للشعر

الشعرُ بِوَابتِي الأُخرى

على شفتي

الى الذين هُمُ الأنفاس

في رثتي

بهم أُجَدِّدُ عهداً كلما

بِرَقَاتٍ

منذِّي المواويل في صحوي

وفي سِنَاتِي

هكذا هي علاقته بالشعر (بوابه على شفته)، حيث انطلاق الكلمة وآهات البوح وجنون الهذيان. أقول: هذه هي علاقته بالشعر، ومن جمال هذه العلاقة لديه أنها حذرة وغير مبتذلة، فهو لا يكتبه إلا إذا استفزته الحياة وما اكثر ما تَسَدَّفِرُ، فكأنه حين يكتب يلفظ شيئاً من كبده كما يقول أحد الشعراء:

(لا أكتبُ الشَّعرَ إنَّ الشَّعرَ يكتبني

فحين تقرأ شعري تقرأ الكَيداً)

وأخاله لا يلتقيه إلا خِلْسَةً في ليالي الشتاء ليتأمل في عيني محبوبته.

"بعضُ منَ التيه في عَينِ نَديكَ يُشجيني

وكل دمع الورى ما عاد يرويني

إن غبتِ غاب الهوى واغتالني ألمي

كأنكَ الماءُ أحيا مَيتَ الطين

وإن جفوتِ جفتني كل أوردتي

وخاصم القلب نرفاً في الشرايين

يا زهر نيسان هل تنسى براعمها

أشجارها اليبس في برد التَشَّارين

كأنكَ والليالي العشر تجمعنا

في مشعر الحب طفلاً عند (ترجيني)
روائحُ الشوق تهدي عطر نسمتها
فراشة الحب حاطت ورد نسرين
يا نعمة الموج هذا زورقي تَعَبياً
فهل تجودي بلحنٍ مَدَّكَ يدنيني؟"

لا تجد مع الأستاذ العايش زوائد الكلم من القول في أحاديثه العامة أو الخاصة، وكثيراً ما يسند رأيه بأية أو مقولة أو حكمة أو بيت من الشعر. يخيل لك أنه مُفْرِطٌ في الجدية حين لقائه، وما أن تجالسه حتى تجد ثغراً باسماء وروحاً شفاقة، وقلباً طرياً مشدود لطفولة الماضي رغم قساوة الحاضر.

في زحمة العمر لم ننسَ طفولتنا
سحرُ الطفولة أطيافاً تناديننا
كأننا والأمانى البيض تدفعنا
نحو الحياة رباحيناً ونسرينا
مشردون خيوط الفجر تُرسلنا
الى الصباح وروحٌ ا□ تحميننا
نلملمُ الآه نخفي من مواجهنا
ما ا□ يعلمه حتى يُجازينا
هي الحياة بها الأضداد زخرفة
ما كان يُسعدنا قد عاد يُشقيننا
آهٍ على العمر كم يجري على عجلٍ
وليس من شربةٍ عادت لتروينا

شاعرنا جابر أستاذ مربى فاضل له يدٌ طولى في نشأة أجيال من الطلاب، فقد خدم التعليم أكثر من ثلاثين عاماً، وصل عدد من طلابه إلى الدراسات العليا.

بقي أن نشير إلى أن شاعرنا يكتب القصيدة العمودية الموزونة. كما يكتب النص الشعبي، وربما هناك أجناس أخرى من فنون الكتابة شح بها علينا.

بعض من نصوصه:

مدي يدِگِ
مُدري يَدَ يَدِگِ الى أَعْداقِ شاهقتي
وطوقيني كطوق
الياسمينات

وهدهدي النَفَسَ المحيوس في رِئتِي
ولَحْنِي النَبِضَ في أَقصى المعانات

وحاذري الدرب لا تطويه
في عَجَلٍ
أنا المسافة في طول
المجرات

إن غاب نجمي فلا شيء
يُعوِضني
أنا السراجُ وأنتِ ظل
مرآتي

أنا الحقيقة لا تخفي على أحدٍ
فكيف أخفي على روجي
وحَسُنَاتِي

دعي التآويل نَصِي ليس يفهمه
سوى المحبين في أقصى
النهايات

لا ليس يوجد ما وراء
لكن أعيننا عمى
لا تستطيع لضعفها
كشف الغطاء

كل الحقائق مثل نور عابرٍ
نحو الأمام بلاغطاءٍ او وطاء
جل الذي في الأمر
أن عقولنا حمقى وتعتقد الغباء
فتصورُ المجهول وحشاٌ كاسراٌ
فتخافهُ مثل الوباء
وحقيقة الأمر الذي يجري بيننا
نحو التطرف والتصوف والتمذهب
والتحزب والدهاء
أَنَّنا على الخوف القديم يسوقنا
فكرٌ هزيلٌ حاقدٌ نحو الورااء
فيكررُ الحمقى المهازل والذين
يُنظرونَ لهم هراءٌ في هراء
لن ينصف التأريخ من مروا به
مثل البهائم كالغشاء
لكنه يسمو بمن صنعوا الحقيقة
والحقيقة خطوة نحو الامام
وركلة نحو الورااء

طوقيني

طوقيني يا ملاكي باليدين
فأنا الغصنُ وأنتِ الوردتين
وخذي الأحلام مني سلماً
واصعدي بالروح فوق الشاهيقَيْنِ
واصنعي من اطلعي زورقنا
واعبري ما شئتِ بين الصفتين
وارسميني مثل حبات الندى
فوق كفيكِ وفوق القدمين
الهوى يا غادتي ارجوحة
نحنُ فيها كبقايا طفلتين

منذُ أن كذّبا صغيرين هنا
والهوى يكبر مثل النخلتين
وثمارُ الحبِ فينا أئبعت
مثلما أئبعت نخل الرافدين
اقطفي ما شئتِ مني فأنا
رَهْنٌ رمشيگِ ورهنُ الحاجبين

أمل

لن ألعن الظلام والمطر
لن ألعن الحفر
سأشعلُ القنديل في النهار
وفي الظلام أشعلُ القمر
كي تعبرين نحو صفتي هناگ
في موطنِ خالٍ من البشر
نعانق السماء كالنجوم
وفي الصباح نسأل النهر
عن عاشقينِ عشقا العناق
قد وادعا بعضهما وقت السحر
لا تسأليني من أنا؟ ومن أكون؟
أنا الذي أرسله القَدَرُ
نصفي على نصفگِ منذ آدَمِ
كالقوسِ حينَ يحضن الوتر
لكننا تهنا بحضن الأمنيات
حين نبا في السمع صوت من زأر
محاولاً أن يفصل الرجيق
عن الفراشات من الزهَرِ
سوف يعيش الحب في الخريف
حين تساقط الأوراق عالجر
وحين تسمعين أنني هنا
من بين عينيگِ أرى البشر

سیدتی سوف اَرَ اَکِ دَائِمًا

فاتحة الكتاب من بين السور

لَکِ یَا أَحْسَاء

لَکِ یَا أَحْسَاءُ عِطْرُ الْأَمْهَاتِ

وصباحاتُ الندى فی السَّوِّ سَدَنَاتِ

لَکِ أَهْزُوجَةٌ فِلاحٍ عَلی

جذعِ نخلاتٍ یُنْغِی الثمرات

ورغیفُ الخبزِ لَمَّ سَتَّوِی

لَکِ أَفْوَاهُ دَعَاتٍ بِالرَّحَمَاتِ

وحصیرُ سَجَدِ الوحیِّ به

لَکِ یَدْعُو فی تَلایا السَّجَدَاتِ

أَنْتِ یَا أَحْسَاءُ مَا أَنْتِ سَوِی

قطبُ هذا الكون فی كل الجهات

شعبي:

شیل کفگ

شیل کفگ عن اِحدودگ لا صرت زعلان

تدری الكون یخسف من یزعلونگ

وادموعگ ندى صبح او مطر نیسان

من تهمل ورد ینبت علی اجفونگ

واذا تصحگ یحن البحر عالشطنان

تبقى إشراع یرقص من یفلونگ

أریدگ بیت صرت اِحدود للبنیان

وابقلبی اضمگ لا یهدمونگ

تظل انتہ الورد وانظر الگ أغصان

نحملگ فوق ما نرضی یقطعونگ

بس ریحگ یفوح او نرسمه بالوان

وانعلبه عطر لِحباب ابشمونگ

